

العثمات
حي الورد - شارع محمد الخامس - هاتف: ٤٦٣١٠٠
ص. ب. ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بآثار العرب الفكرية
صاحبها ورئيس تحريرها محمد التمايز

للإعلان في (العرب)
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
عن الجزء: ١٧ ريالاً

ج ٢٠١، س ٢٤ رجب / شعبان ١٤٠٩ هـ - شباط / آذار (فبراير / مارس) ١٩٨٩ م

عبدالله بن العجلان النهدي حياته وماتبقى من شعره

ليس سهلاً على الإنسان أن يكتب شعراً فيه خلود العاطفة ، وليس سهلاً عليه أن يختار المواقف الحادّة في حالات الشوق ليصوغ فرائد باقية ، يتهافت على قراءتها العُشّاق ، ويتداول أبياتها الرواة والمغنون ، وينشدونها كل ما وجدوا متسعاً من الوقت أو فسحةً من الراحة ، أو استجابة نفسية ، وليس سهلاً على الإنسان أن ينقل هذه الأحاسيس إلى دائرة الآخرين ، ليضعهم فيها ليتحسسوا الحالة المعاشة أو يجسدوا اللحظات الحاملة ، وينعموا بما تفرضه عليهم أسباب الانتشاء ، وقد تكون هذه الحالات بعيدة عن المتعة الحيّة ، وخارجة عن إطار اللحظات السعيدة ، التي يدركها الإنسان ، وهو غير قادر على مواجهتها بما يتناسب من اعتبارات ويتفق من أهمية ، لأنّ الإحساس العاطفي الذي تسرّب عبر قنوات الشعر الخالد ، وقرأ في فرائد القطع الأدبية الرائعة ، ونقل من خلال الأحاديث التي حملها العشاق على امتداد التاريخ ، تؤكد أنّ الخلود لا يكمن في التعبير المباشر ، ولا يصاغ من خلال اللحظات العابرة ، ولا يعيش في إطار المتع الزائلة ، وإنما هناك لغة غير هذه اللغة ، وتعبير يختلف عن هذا التعبير ، وصوت له رنينه ، وكلمات لها وقعها ، وإشارات لها صمتها وبوحها . . كل هذه الصور تعطي الإنسان قدرة الإيحاء ، وترسم له جلال الموقف ، وتمنحه قوة غير قادر على امتلاكها في الأوقات الاعتيادية ، إنّها حاسةٌ أخرى من حواس البشر ، وقوة إلهام لا يقوى على دفعها . وقد تكون هذه القوة هي الوجد الذي اصطلح عليه المتصوفة ، والإلهام الذي عبر عنه الشعراء ، والسكوت الذي تعقد عنده الألسنة ، وتقف في حضرته كل الكلمات حائرة واجفة ، مرتعشة مضطربة ، لأن

مبعث الكلمات لا يوافق حالاتها وهي تقال في المواقف الاعتيادية ، وجوهرها الذي تنطلق منه يتداخل في تراكيب لم يألّفها حتى صاحبها . من هنا كان حديث الشعراء الذين وهبوا قدرة التعبير وهم في حالات غير اعتيادية يُمثّل الحديث الإنساني المبدع ، وينقل الصوت الشعري النقي . إن وجود الحوار الذي يستطاب في ظل المواقف غير الاعتيادية يعطي النسغ الدافق ويحكي روعة الوداعة الحاملة التي يراها الشاعر ، ومن يسمع بوح حديثه ، وينصت لرنين ألفاظه ، ويستجيب لدعوة معانيه وأسرار عباراته وتراكيبه ، وفي غمرة النشوة الشاعرة وهي في ثنايا موجات التعاطف غير المنظور ، وكلاهما يرى الأمور بوضوح ، ويتفاعل مع الأحداث بوجودان خاص ، فاللقاء هو الوجه التعبيري عن اللحظات الصامتة ، والوقت المطلق في نطاق المحادثة أو المُعاش في إطار الزمن المحصور يتهاوى على إحياء دقات الشوق ، ويكبر في دائرة الإحساس بامتلاك الزمن على أية صيغة كانت ، وهذا الشعور يعطي الزمن بُعداً مختلفاً ، ويضفي على الكلمات رداءً جديداً ، ويسكب عليها من وجدانه المحسوس ما يتركها قادرة على أن تتداخل في كل تركيب ، لتأخذ الشكل الموحّي ، والصوت النغمي المطلوب . إن هذا الإحساس يمكن أن يقال في كل لون من ألوان القصائد الخالدة التي رددتها الأجيال ، ووقفت عندها قلوبُ العشاق ، لتقرأ في دقاتها أصوات جسّها ، وترى في مواقفها الحية ألوانَ مشاعرها وهي تمر في ذات اللحظة ، وخفقات وجدانه المرتعش في عين الموقف ، وتحس موجات إحساسه المرهف تتساقط ألفاظاً غير مفهومة ، وتراكم عباراتٍ تنتهي عندها المعاني المطلوبة ، وتلتحم أصوات الألفاظ موجة من التناغم غير معبرة عن أيّ اثتلاف منطقي . وتتزاحم في ذاتها صورة اللقاء الخالد وهو يتجدد بعيداً عن الزمان والمكان ، وخارجاً عن إطار الإحساس المادي ، لأن صورة الوفاء والبقاء والخلود والتواجد وبكل المفاهيم التي اكتسبتها وهي تمر عبر خفقات القلوب ، والصور التي عرفتها وهي تتحدد في نطاق التعامل الذاتي هي التي تعطي اللحظات قوتها في اختراق المسافات ، وتمنحها واجهة التواصل الإنساني لتظل حَيَّةً في كل ضمير يدرك دوره في حُب الحياة وأهميته في إنعاش النفس الخالدة عند الوداع أو الاستذكار .

إنّ هذه الحقيقة تؤكد الاستمرار الإنساني في التلقي والمتابعة في الاستذكار

والتوحد في حالة الاستثارة . فالإنسان هو ، والعاطفة هي ، والمنهج المرسوم
للسلوك العام هو ، ومن غير المعقول أن يكون القلب المتلهف عند الشعراء واقعاً
في دائرة المساومة ، أو محسوباً في نطاق المتغيرات ، أو عاملاً خاضعاً لما تخضع له
الوسائل غير الإنسانية . وهي مسألة لأبداً أن تُحسب في إطار المعادلة الدائمة في
مبادلة العواطف ، وقائمة في اعتبارات الإحساس الإنساني بكل استجابة مؤثرة ،
وإذا كان شاعرنا قد حمل بعض قصائده نفحات العَبَقِ الشعري وهي تتصل
وحياً ، وتتجدد مشاعر ، وتتحد قلباً وعاطفة ، فإن القلوب ماتزال ظائمة تستعيد
الذكريات العذبة ، وتلمس المعاني الندية لتزيح عن كاهلها آتاع السنوات
الثقال ، وتحفف عنها هموم الحياة التي بقيت مصدر إرهاق ، ومبعث تعب ،
وينبوع اخفاقات . وليس غريباً أن تظل المشاعر البشرية الأصيلة متواصلة في
الدفق الحياتي ، ومتماثلة في كثير من حقائقها الثابتة ، وزاخرة بالعطاء العاطفي
النابع وهو يوجد حيناً وذكريات وهموماً . وإذا استطاع شاعرنا أن يتفرد عن أقرانه
الشعراء بابتعاده عن المسحة الحزينة أحياناً ، والتي علققت بعض قصائد الشعراء
أو كانت موضع استثارة لبعضهم ، وهو يدخل دائرة الفراق أو الوداع أو الوقوف
على الديار ، فإنه قدم لنا نموذجاً يجمع بين طرفي المعادلة ، ويوحد بين أجزاء
المفاضلة ، ويختار منها ما يعطيه ابتسامة الثقة ، ويضفي على نفسه راحة
الساحة ، ووجاهة التعاطف بما يقنع به ذاته ، ويترك له الخيار في انتقاء الجانب
المقبول ، والشاعر يمهّد من خلال هذه المباشرة ، والألفاظ الموحية بالبعد
والإحساس ، ولا بد أن تكون ثقته معبرةً عن الرد المناسب الذي تعود عليه وهو
ينتهي إلى النتائج ، وحاله وهو يقبل الحل المعقول هو الدليل على الساحة التي
لازمته عند كل تأزم ، ووافقت مزاجه بعد كل تواصل روحي . ويحاول الشاعر
وهو يعقد المقارنة أحياناً أن يكشف عن ادراكه الحقيقي للحب ، ويرفض
الإطلاق في تحديده ، ويأبى أن يقترن الحديث عن كل الشعراء الذين تغنوا به
بنفس الأسلوب ، وبذات الطريقة ، ويعين الكيفية ، لأنه يرى التفاوت الواضح
في التعبير والإدراك والإحساس ، والمخالفة الحادة في كل حالة ، والتضاد
المحسوس في كل انعكاس ، وقد دفعه هذا الشعور إلى الاستغراق في تعبيره ،
والتواصل في الحديث عنه ، والتعاطف مع كل خفقة من خفقاته ، وهو من جملة

المتيمين والعشاق عبر العصور الطويلة ، وحتى في المفهوم الخاص به يجد تعاوناً لأنه يدرك أن التعبير الحادّ والحاسم له أوقاته وله خصائصه ، وأن الإنسان يتحول فيه إلى عالم آخر ، يبتعد فيه عن كل الأجواء ، ويظيف به خياله حتى يتناسى العالم المحيط به ، ويستحيل إلى تراتيل وأناشيد وأدعية ، وتبدل حاله إلى انغام تتناسب فيها الألفاظ ، وتوحي بها المشاعر ، وتتفق الوحدات اللفظية تركيباً وإيجاء واحساساً ، وهو الدرجة السامية من درجات الوصول ، ولم يتهياً له هذا العالم إلا من خلال التواجد والاستغراق ، والتذكر والحديث الموحى ، والنغم المنساب في مسارب كل تعبير . . إن حديث الشاعر عن هذه الظاهرة تدفعنا إلى أن صاحبنا يتحدث بلغة أصحاب التصوف وإن لم يكن معروفاً في زمانه .

إن صوت الفراق الذي ظل يلوي إرادة الشاعر هو صوت له حكمه في كل حركة من حركاته ، ولكنه يؤمن بأن الزمن القابل وصوت اللحظات التي يتلهمها – وهي تنطلق عند كل لقاء – تعيد إليه الثقة بأن العشق الكبير سيتجلى في دواخلهما وفق أشكال معقولة ، ليضيء الجوانب التي ستصبح بأمس الحاجة إلى لقاءٍ أبديٍّ تستعاد به صورة الحديث الهادي ، والصمت الناطق ، والهلمسة المعبرة ، وخفقة القلب التي هي أشدّ اتصالاً من كل الخفقات الأخرى مهما كانت متقاربة .

إنها إرادة القدر الذي وضع الشاعر فيه ، وإرادة القلوب التي التقت في مرحلته ، وإرادة الصدق التي استطاعت أن تجذو العشق في قلبيهما ولم تجده في القلوب الأخرى ، وهذا ما يدفعه إلى أن يظل حريصاً على الآمال الكبيرة التي تتجدد عند كل جلسة ، وتقال عند كل لقاء ، وتتجسد في كل حديث . .

فالشعر والبلاغة – كما يقول ابن قتيبة – لا يقصرهما الله على زمن دون زمن ، ولا خصّ بها قوماً دون قوم بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره .

ولم تكن نظرنا لشعر عبدالله بن العجلان بعيدة عن نظرة ابن قتيبة وإن كانت متأخرة عنه وهو يصنف للشعراء كتابه بعد أن ابتعد عن النظرة التقليدية التي ظلت تتحكم في كثير من المقاييس ، وتحدد درجات الشعر وفق المنطق الذي

يجعلهم أقرب إلى المؤلف على الرغم من مخالفته ، وتقليدهم للمعروف وهم يدركون فساده ، وإذا كان الحديث عن النص والاقتراب في تناول المعاني يدخل في إطار التقويم الحقيقي لما يمكن أن يقدم فإن نظرتي إليه وقراءتي لشعره كانت خارجة على إطار الزمن الذي نظر إلى المتقدم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره فكانت - وكما قال ابن قتيبة - نظرتي نظرة عدالة بين الفريقين ، فأعطيته حظّه بما يستحق ، ووفرت عليه حقه الذي يستأهله . إنها الحقيقة التي عاشت في نفسي وأنا اتحدث عن الشاعر برغم الزمن الطويل الذي قطعتة أخباره .

ويبقى حديث الإبداع معادلة بين طرفين ووجهاً لمعادلتين يأخذ التكرار جانباً منها ويتمسك الإبداع بوجهها الآخر لتظل المعادلة قائمة ، وليبقى النص الموحد الذي تدور في إطاره حكاية الأشباه والنظائر مادة للحديث ، فالأوائل من الشعراء رسموا رسوماً تبعها من بعدهم ، وعوّل عليها من اقتفى أثرهم ، وإذا كان للتاريخ والزمن حصة في هذا المجال فإن عبدالله بن العجلان يُعدُّ نموذجاً متقدماً استطاع أن يرسم الحدود البعيدة ، ويعطي الذات الإنسانية حقها في الحياة .

وإذا كان للتاريخ والزمن جسٌّ وجدان وخوافق فإن للصوت في شعر النهدي ألوان أخرى يثير في أعماقه نوازع ، ويؤدي مهمات ، ويوحى بما توحيه الكلمة ، ويعبر عنه التركيب ويستحوذ عليه أحياناً حتى لا يترك له مجالاً في المخاطبة ، ولا يمنحه فرصة التعبير عند الحوار الصامت ، فتصبو له حواسه ، وتهفو له جوانحه ، وتنتهي عند مقاطعه كل الأحاديث التي كان ينوي إيصالها أو الحديث عنها أو نقلها نقلاً مباشراً فالصوت له في ذاته ترنيمات والمقاطع لها في وجدانه توافق ، والنغمات التي تصاحب الكلمات تثير في نفسه مالا تثيره أشد القصائد عاطفة وأكثرها تأثيراً ، لأن قصيدته التي تضم كل أحاسيسه هي النموذج الذي يستمع إليه ، ورائعته التي نستمتع بأبياته هي الكل الذي تتكامل فيه الأجزاء وتجتمع الأحاد وتقف عند رحابة كل المعاني والمفردات . . إنها الحالة التي لا يطيق احتماها وهو يصمت في دائرة الحديث المشترك ، والظاهرة التي يندر وجودها وهو يرويا في أحاديث البشر ، فقد عاش الحب بجوارحه ، وأدرك سرَّ الخلود في جديته ، فكان التواصل حديثاً لا ينتهي ، وكان اللقاء الذي تستعاد به

الذكريات لا ينقطع تلوي على لحظاته عواطف الزمن ، وتذوب في فيض تجلياته
كوامن القسوة التي تخلقها الأيام . . ويكتب على هذا العاشق الغريب أن
ينطوي ، وتبقى في نفسه وهجات حية تنير ظلام الغربة ، وتشرق قسامتها بتألق
المحبة والتواجد ، فيخرج من عزلته مرة بعد كل انقطاع لا يرى من العالم
إلا هذا ، ولا يتحدث مع أحد من البشر عداها ، ولا يودع بعد حديثه الذي
يستغرق كل الزمن المحسوب في وهدة الانقطاع إلا صورتها فيصبح حديثها الزاد
الذي يتزود به ، وتكبر في نفسه الحياة التي أوشك الانقطاع أن يذهب ببعض
إشراقها ، ويعود بعد حديثه أكثر شوقاً إليها وأشد التصاقاً بحديثها ، وأعظم إيماناً
بحبها الذي لا ينتهي . . والزمن في هذه الدائرة لا يحدد بالرغم من امتدادها ،
واللقاء لا يورق بما علق به من خوافق التعامل الذي فرض عليهما الواقع الذي لم
يحل دون أخذهما من متاع الدنيا ما يعني ، ولم يقف في طريق الحوار الذي تبسط
فيه الكوامن وتسرد فيه أعزّ الأمانى وأصدق الأحاديث .

إن استمرار الإحساس بحيوية القصيدة ، وجدية معانيها ، وأصالة عواطفها
التي تجد فيها الأجيال صوتها وهي تفاخر ، وارتياحها وهي تتحمس ، وعواطفها
وهي تعشق ، وسخريتها وهي تهجو ، وإعجابها وهي تمدح ، تؤكد التعبير
الوجداني الحي الذي تلتقي فيه الأبيات ، والوجه المقبول الذي تتفق على قسامته
وهي تستعيد بعض أبياتها ، وتختار فيها ما يوافق مشاعرها يمثل الامتداد الزمني
الواضح والناض الذي يكمن في أسرار قدرتها ، وهو ما ظلت تتواصل به
القصيدة العربية في أحاديث النقاد العرب وهم يواكبون القصيدة شرحاً موجزاً أو
تفصيلاً ، ويستطردون في ذكر المعاني المتلاحقة ، ويتقاربون في جمع ماتشابه
منها ، وتوحدت فيه لأن مجرى الإيحاء واحد ، وتوجه الإحساس متقارب ، فتصبح
المعالجة - في إطار حدود المتداول منها - قريبة المآخذ ، بينة المعالم ، متوافقة من
حيث الإطار الذي تعامل فيه الشاعر ، وهذه المحاولة لا تحول دون قدرة الشاعر
الإبداعية ، لأن الإبداع يبرز في الإجماع على اختيار الصورة البارعة والمثيرة ،
والاجماع على صدقها المتميز في التقويم ، والاتفاق على اعتبارها أكثر الأبيات قدرة
على التعبير وأشدّها مطاوعة لما يمكن أن تملكه من إغناء ، وإرضاء للحاجة

الزمنية التي تتفاوت أقدارها في تمثيل الحالة ، وشدة اختراقها للحجب الكثيفة التي تمسك بزمام المستقبل ، وهو ما يحققه النص الذي يتجاوز هذه الحالات ، ويعبر المسافة الخيالية التي تبدو لنا قرونا ، ولكنها في احتساب المشاعر متصلة لا تحد ، ممتدة لا يوقفها إحساس الغربة أو شعور بالاغتراب ، وهذا ما عليه الحركة المناسبة لما يعانيه الإنسان مع أحوال غير محصورة بزمن ، أو محددة بمعاناة فردية . فالشمولية التي تمتلكها الأبيات أو المقطعات ذات إحساس داخلي واحد ، ينطلق من المعاشة الحقيقية ، التي تلامس كل نفس ، وتنبعث مع كل نفثة تثيرها ذكرى ، وتحللها لهفة عاشقة . . ويتمثلُ البعد الحقيقي في قصائد الشاعر في الانقطاع من جانب واحد ، والاعتزال عندما تشتد حالات التأزم والإحساس بالاغتراب عندما يجد نفسه في وضع حبيس ، تتجاذبه سوررات الإخفاق ، وتغرقه لحظات الشعور بحالة البعد غير المتوقع ، وتتقاسمه هموم الأرق الشجي وهو يعاني من انقطاع حاد في لحظات غير محسوبة ، وتراجع عن مواقف حُسمت نتائجها منذ فترات ، وانتهت أحاديثها بعد قناعات هي الحالة التي تعطي صاحبنا هذا التراجع ، وترك له خيار التوقيت لما يحاول أن يتخذه من مواقف ، أو يرتضيه من أحكام ، ولكنه يبقى مُصرّاً على الموقف الذي حدده لنفسه ، ويبقى متعلقاً بالأمل الكبير الذي ترسمه له من خلال التعبير الهادئ كلماتها العذبة ، وصوتها الدافئ ، ورقتها التي لم تمنحها لكل الآخرين . . إنها النغم الذي اعتاد سماعه ، والأنشودة التي يظل يحلم بها في كل مرة ، هي الردّ الوحيد الذي يبدد أوهام التراجع أحياناً ، وينهي ألوان الاحتمالات التي تتكاثف في دروب الرؤية غير الواقعية . . إنه الوهم الذي تثيره لحظات الاشتياق الحاد ، والشوق الحائر ، واللهفة الصادقة ، فتستحيل الأجزاء الصغيرة عالماً كبيراً ، وتبديل الوداعة الصامتة إحساساً بالغربة لا يلوي صولتها إلا التأمل الكريم الذي يعطي الهاجس فرصة المراجعة ، والإيحاء النبيل - الذي عودته عليه - الذي يضمن للشاعر بقايا الأمل . . وتتباعد خطوات الرحلة الطويلة ، وتتناثر أصوات الشاعر الواله ، وتستفيق ذكريات الموروث التاريخي أحزاناً وهواجس ومخاوف ، وعندها يتحول الحديث إلى وهج من النظرات الموحية ، وألّت من النور المشع ، وهدوءٍ تستجيب له كل الحواس ، واستعطاف في الملامح تفصح عنه الإيماءة ، وتفضي به الحركة

الوديعة ، ويحاول بعد أن يتمالك نفسه بعض الشيء ، أن يعيد بعض ما أراد إعادته .

فالحديث عن النموذج (الحبيبة) يأخذ مساحته الواسعة ، ويكاد ينفرد به لما توصل إليه الشاعر من اعتقاد ، وأمن به من نظرة ، وعرفه من خلال الإحساس الكامل بهذا النموذج ، حتى أصبح الحديث عنه لا يبتعد بأي شكل ، والوقوف عنده هو الحالة الراهنة ، والتفكير به هو الصورة القريبة ، والتطلع إليه هو الأمل الوحيد . . إنه تحوّل واضح ، وتكثيف غير اعتيادي ، وتفرد كانت نفعاته تملأ الأبيات ، وصور الوداع توشك أن تنتهي في قاموس المفردات ، وهو اجس التردد تصبح أشباحاً متضائلة في الحسابات التي كنت أقفُ عليها وأنا أتابع قصائده ومقطعاته .

فالحديث عن فراق العشاق من الأحاديث الطريفة في الأدب العربي ، لما يصاحب هذا الفراق من حالات أقرب إلى المأساة منها إلى الحياة المألوفة ، وغالباً ماتتتهي بحالة الموت التي تشفع بجوٍّ من الألم وواقع من الدهول ، وغشية من الموت وغيرها من الحالات التي تعطي الظاهرة وجهاً عاطفياً حياً ، وتملأ الصورة بكل ما يجعلها معبرة عن هذا الشوق القاتل ، والوجد المमित ، والتضحية النادرة ، وكثيراً ما نجد الصورة تتكرر عند الشعراء الذين يجربون على الفراق ، ويقعون تحت طائلة الظروف الصعبة التي تحملهم على الطلاق من أعزّ النساء اللواتي ارتبطت حياتهن بحياة الشعراء ، فشهروا بأسمائهن ، وعرفوا بحبهم الفريد ، وتضحياتهم النادرة ، وهيامهم الذي لا نجد له نظيراً في حياة الآخرين ، وهنا تكبر حالة المأساة ، وتتسع دائرة الألم ، وتأخذ الزاوية بُعداً الواسع بعد أن تمتلئ بأخبار غريبة ، وأحداث لا يتصورها الإنسان ، لما يرافقها من وفاء صادق ، وإخلاص عزيز ، وتضحية فريدة ، لأفكار لا نراها إلا عند أوئلك الذين عاشوا الوفاء إيماناً ، وبذلوا العمر تضحية ، وتحملوا ألم الفراق والغربة ثوباً واحتساباً ، لأن عفتهم التي عُرفوا بها ونزاهتهم التي التزموا بأصولها حملتهم على أن يظلوا رموزاً لهذا الوفاء ، ونماذج من طرازٍ خاص لعالم الإنسان الذي اتسعت مجالاته للحياة المادية ، وفقد الإنسان فيها أسباب النزوع إلى الخلود . . .

١٤٠
إن هذه الحالات التي تمثلت عند كثير من الشعراء تُحَدِّدُ الطَّرِيقَ لهذه المجموعة التي ذاقَت الحُبَّ بِأَرْقِ عَوَاطِفِهِ ، وتلمست العشق بأدقِّ أوصافه ، فعرفوه حق معرفة ، وقدروه عظيم قدرة ، فهانت عليهم الحياة إكراماً مثلهم ، وسَهَلَتْ التضحياتُ اعتزازاً بنشوة استمرأوا مذاقها ، وحديث استطعموا لذته ، فعاشوا أسيري هذا الواقع الذي لازمهم في كل تصرف ، وسائرهم في كل مرحلة ، وعاش معهم في كل لحظة .

وعبدالله بن العجلان رائد للشعراء الذين مروا بالتجربة ذاتها ، وتحملوا الشوق بغصصه ، وكابدوا العشق بمرارته ، فرسم لأولئك العشاق طريق الخلود ، وحدد لكل المؤمنين بقيم الحياة مسالك الوفاء ، ودروب السعادة التي لا تنتهي عند حد ، ولا تتوقف عند نقطة فاصلة .

وقد عبر شعر عبدالله عن هذه الظاهرة بما جعله من المتقدمين على أولئك الذين أخضعوا لها . وليس أمرٌ على الإنسان من أن يضطر لمغادرة حالة لا يريد فراقها ، ويهجر مسألة تعلق بها ، فهذه التي تعلق بها كانت أحبَّ الناس إليه ، وأحظاهم عنده ، مكثت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلد . . وهنا تبدأ عقدة الموضوع التي هيأت فرص الحديث لمن يجد في الولد عنصر قوة لأنها التقاليد المفروضة ، وهو السيد في قومه ، وابن سيد من ساداتهم ، وكان أبوه أكثر بني نَهْدٍ مالاً ، وهو الوحيد لأبيه . . لقد تراكمت المسيبات التي تسوغ للوالد الحديث بعد أن اتضح لهم أن هنذا عاقراً ، ولم يكن الحُبُّ في قلب الشاعر العاشق مرتبطاً بالإنجاب ، أو محصوراً بالنسل أو الولد ، وإنما السعادة التي عاشت في وجدانه ، وهو يحقق الحياة مع المرأة التي كُتِبَ عليه أن يتعلق بها . ومع أن الرواية التي أُحِيطَتْ بها حياة هذا الشاعر قد امتدت لتأخذ مجالها في الخيال ، أو حصَّتها في أسباب التسويغ ، إلا أنها ترسم خطأً للأسلوب الذي دُفِعَ إليه الشاعر ليكون ملائماً لرغبته ، ومنسجماً مع جزئيات القصة الغريبة التي تكتنف تلك الحياة .

لقد كانت حالة الرفض التي يبديها الشاعر ، وحالة الإصرار التي يرومها صورة لرسم البعد الإنساني المتمثل في هاتين الحالتين ، وهذا يدفع الوالد إلى أن يتخذ الموقف المضاداً لرغبة الابن والمناهض لفلسفته في الحياة ، وقد بررت المعادلة

التقاط الزمن الذي يقرر فيه الابن دون إرادته ، ويوافق على مواقف لا يملك فيها حرية التصرف ، فكانت قصة الطلاق التي شهدتها مجلس والده ، بحضور مشيخة الحي وفتيانهم ، وما تعرض له من تناول بالألسنة ، والتعير بالضعف والخضوع والانصياع ، وما واجهه من استفزاز لم يتحمل ضغطه ، ولم يقاوم قومه ، ولم يزالوا به حتى قال كلمته التي نَدِمَ عليها وبكى من أجلها ، وعاش حياته كلها يذكر حالة الضعف التي اعترته ، وكلمة الطلاق التي استُفِزَّ بها ، وقد استغرقت من شعره مساحة كبيرة ، وسفح من أجلها الدموع الغزار ، وعاش يذكر أيامها وأحاديثها .

ولم يتعد وهو في غمرة هذه الحالة من الإشادة بفروسيته ، والحديث عن بلاء قومه ، وهو كعادة الفرسان يستشهد بالخيال على مطاردة الخصوم .

وبقيت حالة المروءة التي تمثل بها نابضة لا يقدر على التخلي عنها ، ولا يجد المجال بعيداً عن مغادرتها . وفي أعماقه كانت المأساة تُلهِبُ مشاعره ، وكان حبُّ هند يتأجج كلما ذكر اسمها أو خطر طيفها ، أو استذكر ساعة من ساعاتها . . حتى كُتِبَ عليه أن يعيش الزمن الباقي غُصَصاً يتجرع مرارتها ، وآلاماً يشرق بها ، وقد دفعه حبه إلى أن يخاطر بنفسه وضاق به السبل . فلما اشتد عليه الألم من السقم خرج سراً من أبيه مخاطراً بنفسه ، حتى أوفى أرض بني عامر ، لا يرهب ما بينهم من الشر والتّرات ، حتى نزل ببني نُمَيْرٍ ، وقصد خِباءَ هِنْدٍ ، فلما قارب دارها رآها جالسة على الحوض ، وزوَّجها يسقي ويدود الإبل عن مائه ، فلما نظر إليها ونظرت إليه رمي بنفسه من بعيره ، وأقبل يشتدُّ إليها ، وأقبلت تشد إليه ، فعانق كل واحد منهما صاحبه ، وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان ، حتى سقطا على وجوههما ، وأقبل زوج هند لينظر محالهما ، فوجدهما ميتين .

وقيل : إن عبدالله بن العجلان أراد المضي إلى بلادهم ، فمنعه أبوه وخَوْفُهُ الثارات ، وقال : نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة ، ولم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت ، فحج وحج أبوه معه ، فنظر إلى زوج هند وهو يطوف بالبيت ، وأثر كَفَّها في ثوبه بخلوق ، فرجع إلى أبيه في منزله ، وأخبره بما رأى ، ثم سقط على وجهه فمات .

نهد قبل البعثة النبوية : يمتد تاريخ نهد في أخبار القبائل امتداداً واسعاً لما عرفت به من أجداد ، وهم أبناء زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، كما يذكر البكري ، وتشير المصادر التاريخية إلى أن نهداً وعُدرةً وجُهينةً وحَوْتكةً نزلوا من الحَجْرِ إلى وادي القُرى^(١) وقيل : إن قضاة كلها ظعنن من غور تهامة^(٢) وكان أول من طلع من قضاة إلى أرض نجد فأصحر في صحرائها جُهينة ونهدٌ وسعد هُدَيم . . . ولم تستقر نهدٌ في موضع شأنها شأن كثير من القبائل التي كانت تجر في الجزيرة العربية أرضاً لها ، وفي كل شعبٍ من شعابها أو وادٍ من وديانها مسكناً تستقر فيه ، ولكنها وجدت في وادي القُرى وما والاها من البلاد موطناً ، فلم يزالوا حتى كثروا وانتشروا ووقعت بينهم حرب افترقوا على أثرها في أرض العرب ثانية ، حتى انحدرت جرمٌ ونهدٌ إلى بلاد اليمن ، فنزلوا أرضاً تلي السراة يقال لها أديم ، وأمرهم يومئذ جميع وكلمتهم واحدة^(٣) ولحقت جرمٌ بنهدٍ ، وحالفوا في بني الحارث ، وقيلت في ذلك أشعار كثيرة تشير إلى ذلك الحلف^(٤) ولم تزال جرم ونهد بتلك البلاد ، وهي على ذلك الحلف حتى ظهر الإسلام ، ومن هنالك هاجر من هاجر منهم وبها بقيتهم^(٥) .

وتؤكد المصادر التاريخية وكتب الأنساب عراقه نهد في الرياسة ، وتشير وصيته لبنيه واهتمام قومه بها إلى المكانة التي كانت تتمتع بها بين بطون القبائل الأخرى ، واحتفاظ الرواة بما قيل بشأن هذه الوصية لما تركته من أثر في نفوس الآخرين حتى قال هُبيرة بن عمرو بن جرثومة النهديُّ فيها^(٦) :

وأوصى أبونا فاتبعنا وصاته
فأوصى بالألأ تستباح دياركم
إذا أوفدت نار العدو فلا يزال
يفرج عن أبنائنا ونسائنا
وماذاد عنا الناس إلا سيوفنا
وكندة تهدي بالوعيد ومدحج
وكل أمرئٍ موص أبوه وذاهب
وحاموا كما كنا عليها نصارب
شهاب لكم ترمي به الحرب ثاقب
جلاد وطعن يردع الخيل صائب
وخطبة مما يترص زاعب^(٧)
وشهران من أهل الحجاز وواهب

وقال عمرو بن جِلْزة بن مالك النهديُّ :

رَحَلْتُ إِلَى كَلْبٍ بِحَرِّ بِلَادِهَا
فَلَمْ يَسْمَعُوا فِي حَاجَتِي قَوْلَ قَائِلٍ

وَكَانُوا كَظَنِّي إِذْ رَحَلْتُ إِلَيْهِمْ وَمَا عَلِمَ بِالمُكْرَمَاتِ كَجَاهِلِ
رَهْنَتْ يَمِينِي فِي قُضَاعَةٍ كُلِّهَا فَأَبْتُ حَمِيداً مِنْهُمْ غَيْرَ حَافِلِ
بِذَلِكَ أَوْصَانِي زُوَيْبُ بْنُ مَالِكٍ وَنَهْدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الخُطُوبِ الأَوَائِلِ
وَأَوْصَى بِالأُتُسْتَبَاحِ دِيَارِكُمْ وَحَامُوا عَلَيْهَا تَنْطُقُوا فِي المَحَافِلِ
وَعَالُوا بِأَخِذِ المُكْرَمَاتِ فَإِنَّهَا تَفُورُ غَدَاةَ السَّبْقِ عِنْدَ التَّفَاضُلِ

وكان حنظلة بن نهد من أشرف العرب ، وكانت له منزلة بعكاظ في موسم العرب وتمامة والحجاز ، وعاش الذؤيد واسمه جذيمة بن صبح بن زيد بن نهد زماناً طويلاً ، لا تذكر العرب من طول عمر أحدٍ ماتذكر من طول عمره ، وزعموا أنه عاش أربع مئة سنة ، وقال حين حضرته الوفاة^(٨) :

الْيَوْمَ يُبْنِي لِذُوَيْدٍ بَيْتَهُ
يَارِبُ غَيْلٍ حَسَنِ ثَنِيَّتِهِ
وَمِعْصَمٍ مُوشِمٍ لَوِيَّتِهِ
وَمَغْنَمٍ فِي غَارِ حَوِيَّتِهِ
لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بِلَى أْبَلِيَّتِهِ
أَوْ كَانَ قَرْنِي وَاجِداً كَفَيْتِهِ

لقد وجدت هذه القبيلة في وصية نهد حافراً للدفاع عن مجدها ، وتوثيباً للوقوف بوجه خصومها ، وهو يحدد لهم فلسفته في الحياة ، ونهجه في تأمين مستقبل أبنائها ، لأن استباحة الديار إسقاط لهيبة القبيلة ، وإذلال لكبريائها ، واستهانة بقيمتها ، مشيراً إلى أنهم ظلوا يحمون حماها ، ويصونون شرفها ، ويذودون عن حياضها ، وأن المواجهة الحاسمة والموقف الحازم هو الذي يفرج عن الأبناء والنساء ، وأن السلاح وحده هو الصوت الذي يرتفع لرد الغزاة الطامعين ، ودفع شرهم . . . وهي كالألات تؤكد سمو منزلة القبيلة ، وعلو كعبها بين القبائل ، وعزتها في صدّ الذين تسول لهم أنفسهم بالتجاوز عليها ، وقد أمدت هذه الخصال شعراء نهد بخصائص ظلوا يرفدون قصائد فخرهم بها ، ويغنون مضامين مديحهم بما يجردونه فيها من أسباب التناحر ، وعوامل التوثيب ،

وقد بقيت أصداؤ الوصية في شعرهم نشيداً من أناشيد الاعتزاز ، ولحناً من لحون
التفاخر . .

وظهر فيهم شعراء منهم عبدالله بن دهمم النهدي ، وهبيرة بن عمرو وخالد بن
الصقعب .

أما بيوت الرياسة فكانت في حنظلة بن نهد ، وهو أول بيت في قضاة ، وكان
صاحب فتاحتهم (الحكم في الخصومات) وهو حَكْمُهُمُ الذي يحكم بينهم ،
وكان صاحب فُتَاةِ تهامة وصاحب العرب بعكاظ ، حين تجتمع في أسواقها وكان
عزَّ قضاة وشرفها بني نهد^(٩) .

وللهمداني رأي آخر في ارتحالها وتفرقها حيث يذكر ان نهداً ارتفعت إلى نجد
العليا وقد كانت دهرأ بتهامة^(١٠) .

ويبدو أنها استقرت بين رضوى وعزور وهما - كما يقول البكري - جبلان
ينبتان الشوحط والنبع والقرظ ، وفيهما مياه وأوشال ، تخرج من شواحق لا يعلم
متفجرها ولهم فيها يسار ظاهر ويصب الجبلان في وادي غَيْقَةَ ، وغَيْقَةُ تُصَبُّ في
البحر ولها مُسْكٌ تُمَسِّكُ الماء^(١١) . واتخذوا من الصفراء قرية تسكنها جُهينة
والأنصار ونهد وهي كثيرة المزارع والنخل ، ماؤها عيون يجري فضلها إلى
ينبع^(١٢) ، وتتخذ فيها البقول والبطيخ .

ومن الظواهر الجلية في شعر عبدالله بن العجلان ظاهرة المقطعات التي لم تكن
نتيجة قَصَرِ نفسه أو خِصْيَصَةً من خصائص شعره وإنما هو الزمن الذي اقتطع منها
ما اقتطع وأبقى منها ما أبقاه ، لتظل هذه البقايا أشلاء قصيرة توحى بما أصابها
وتدلل على ما اجْتَرِيَّ منها . . حتى بدأنا نشعر بالحيف الذي لحقه والضياع الذي
انتاب حياته وشعره ، فوصلت إلينا أجزاء شعره وهي تحمل ألم التجزئة ، وتؤكد
حالة الانقطاع ، وقد عمت هذه الظاهرة شعره وغلبت عليه ، ولم تقتصر على
بعض قصائده التي وصلت إلينا ، وإنما شملت شعره برمته ، حيث امتدت إليه
فلم يبق من شعره إلا مقطعات قليلة لا تكفي للأحكام التي قيلت فيه ، والشهرة
التي عُرفَ بها والمنزلة التي وصل إليها بين الشعراء العشاق .

ويمكن حصر ماتبقى من شعره بظاهرتين بارزتين الأولى تمثلت في تغنيه بهند ، وهي الصفة الغالبة ، والثانية تمثلت في فخره بقومه وهم ينازلون خصومه من بني عامر الذين تزوج أحدهم هنداً التي أُجبرَ على طلاقها كما ذكرنا . . ويكاد الغرضان يتوافقان من حيث الإحساس المباشر والتأثير العاطفي والوجدان الذاتي .

وفي قراءة سريعة لما تمكنت من جمعه من الشعر المتبقي وجدت مجموعة من المفردات التي يأتي على ذكرها وهي توحى بغلبتها وتؤكد تأثيرها النفسي في حياته ، وملازمتها له ، وهو يعيش الغربة ، ويقاسي الشوق ، ويعالج الحنين (فهند) لها ثمان مفردات ويكرر (الذكر) ثلاث مرات و (الندم) ثلاث مرات و (العين) و (الأثراب) . والأفعال (نأت) و (عاد) مرتين ، وتأتي مفردات (النوى) و (شطت) و (فارق) و (الشوق) في سياق شعره وهو لا يخرج في أوصافه لهند عن أوصاف الشعراء الآخرين الذين وجدوا في صوحيبتهم من اللطف والرفقة ، ودبيب القطا ، والميس بين الأثراب ، والتطلع إلى المرأة ، وخفة المسك والتطيب بالمداك والحياء والخوف من الرقباء ، والبراءة والحديث الملد ، والجدائل المستقرة على متنها ، والسرور عند العناق . . وهي المعاني التي تعارف عليها الشعراء ، وهو يجد في ذكرها وذكر أوصافها تعبيراً عن حالته ، وفي ترديدها راحة في نفسه ، وفي قراءتها أسباباً من أسباب تخفيف مايكابده من لوعة ، ولو حاولنا تجميع هذه المفردات ، وإعادة صياغتها وفق ما تؤديه لوجدنا الصورة المؤلمة التي كانت ترافقه وهو يحس بالندم القاتل ، ويعيش الغربة المميته ، ويتجرع الفراق المفزع ، وفي طرفي الحاليتين اللتين تحققنا في داخله واللتين تؤججان النوازع الهائمة فإنه كان يحاول التنفيس عن الحالة بما يعينه عليها شعره ، وتسربه إلى الآخرين نفثات حري ولواعج لاهبة ، وهو يشعر بطول الشوق ومعاودة الذكرى التي تهيج له الصورة الخالدة ، التي ظلت ملازمة له ، وعاشت في حياته رمزاً من رموز الحياة التي لا تمحى ، والرسوم التي لا تذهب ، وهو يعلم كل العلم أنه غير قادر على مقاومة هذه الحالة التي أصبح عليها بعد أن ظلت عناصر الفروسية أساساً من أسس حياته ، وأسباب القوة عاملاً مؤثراً من عوامل بطولته التي عرف بها . . إنها

حالة التراجع التي يضطر الإنسان إليها وهو لا يمتلك أسباب المقاومة ولا يستطيع أن يتجاوز حالة العشق التي غلبت عليه .

لقد كان الشاعر عبدالله نموذجاً ، حيث حدد الطريق لكل العشاق الذين سلكوا مسلكه ، فأتخذوا منه صورة في بناء القصيدة ، وشكل التعبير ، وانسيابية العواطف ، وحالة التأثر ، وكأنه أعطى هذا النمط الشعري من الحياة طريقاً لمن أراد أن يسير فيه ، أو ينهج نهجه ، وأصبحت قصته بداية لكل المظلومين من الشعراء ، الذين كتب عليهم أن يضطروا لمفارقة أحبَّتهم ، ويتعدوا عن الموحيات اللواتي أثرت فيهم عواطف الحب وفجرت دوافق العاطفة ، وهيات الفرص لأولئك الرجال الأماجد الذين لم تلوِّحْهم قطيعة ، ولم تضعف اندفاعهم فرقة ، ولم تبدد أحلامهم طوارق الحياة التي فرضت عليهم فكانت قلوبهم مليئة بما عاشوا له ، ونفوسهم عامرة بما حفظوا من ود . . . أما الحبيبات اللواتي تحمَّلتن العبء وأخضعن لما أُجبرنَ عليه فكانت مأساتهن أشد ، وأشواقهن أمضى وأمدً ، ولكن الحوائل تحول دون التعبير ، وإن استطاع بعضهن أن يتجاوز حدود المواجهة – وكانت هن أجواؤهن المريرة ، وحياتهن الغريبة ، وأصواتهم المخنوقة التي لم تكد تجد فرصتها حتى تذوب حرقة ، وتكون شهقة الموت الأخيرة هي المتنفس الحاسم لما كابدنه من مرارة .

إنها صورة الحياة التي لازمت قيسَ لُبني ، والمجنون وغيرهما ممن وقعوا في دائرة العشق القاتل ، لينتهوا النهاية التي عاشت في ذاكرة العشاق قصة لها ذكرياتها الخالدة ، وإنسانيتها العفيفة ، ومروءتها العزيزة ، ولكنها بقيت تحمل نفع العفة ، وأطياب الوفاء ، وعزَّ المروءة التي سجلت على صفحات التاريخ لوحاتٍ مليئة بكل ما يجعل النفس الإنسانية معبرة عن الخير ، حاملة عناصر التضحية ، التي لا تنتهي إلى حدود ، ولا تقف عند مسلمات . لقد استطعت أن أتلمس أنفاسه فيما تبقى من شعره وهو يوصي كل الذين يملكون على هند أن يزوروا ، وينقلوا إليها نسمات الوفاء التي يحملها إليها ، وهو يعلم أنَّ الطريق التي يجتازونها لا تهدي إلى ديارها ، ولكنه يشعر بأن حق الرعاية والوفاء يمليان عليه أن يؤديه ، لأن فرص الحياة ذاهبة ، والزمن له أحكامه ، والقلوب لها حقها في مسالك

التكريم ودروب الخير والسعادة .

وتبقى قصيدته التي قالها بعد طلاقه من هند صرخة عاطفية حادةً عبّرَ فيها عن ندمه ، وأفاض من خلالها بما كانت تطويه خوافقه من أشواق . وكانت ومضات الفروسية تتجلى في ثنايا القصيدة التي يشير فيها إلى بني نهد (من قومه) . . ولكنها نفثات محزون ، وصرخات متألم . . ويشير في بيتين انفرد بهما ياقوت في « معجم البلدان » إلى أن هنداً أصبحت عامرية ، وأصبح نهدياً بنجدين ، ويبدو أن بني غير من بني عامر كانوا يَحْلُونَ الرِّياض .

أما الظاهرة الثانية التي وضحت في شعره فهي فخره بأيام قومه ، وهزيمة عامر الذين كانت لهم منازلهم المتواصلة ، وقد احتفظ شعره بقطعة طويلة (أربعة عشر بيتاً) وهي أطول مقطوعة في شعره ، وتذكر الأخبار أنه قالها يوم انهزام عامر بعد أن أرسلته هند لينذر قومها قبل أن يأتيهم بنو عامر ، وقد افتتحها بالنسيب ، ولم تكن هند بعيدة عن هذه المقدمة . . وقد زحرت القصيدة بمفردات الفروسية التي عرف بها الشاعر فكانت لغة (صمّ القنا) و (الدماء) و (الخيل تنحط في القنا) و (العوالي) و (الرماح) و (صرعى) وغيرها من المفردات هي التي تحرك معاني القصيدة ، والتهديد الذي ضمنه بعد أن رفضت عامر السلام ، وهو إحساس بالروح الخيرة ، التي كانت تسم حياة الشاعر ، ويقف مرة أخرى في أبيات ثلاثة عند وقعة أخرى ببني عامر ، ويفخر فيها ببطلته وبلائه ، ولكننا لم نعر إلا على مقدمة الأبيات .

ولم أجد إشارة إلى شعره أو ديوانه فيما توفر لدي من المصادر وربما يكون ضياع شعره وقلته في عصر التدوين قد حالت دون جمعه أو شرحه ، وهي ظاهرة لم تقتصر على شاعرنا وحده . . وإن كانت هناك إشارة إلى شعر نهد في بعض المصادر .

لقد كانت حياة الشاعر عبدالله نموذجاً للشعراء الآخرين ، حيث أصبح رمزاً يضرب به المثل ، ويقتدى بعشقه الذي ذاع صيته فهو من عشاق العرب المشهورين الذين ماتوا عشقاً^(١٣) وقد ذكره بعض الشعراء فقال :

ان متّ من الحبّ فقد مات ابن عجلان

وقال ابن سيرين : ماسمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا . يعني
عبدالله^(١٤) . وقيل : إنه شاعر مفلق وناطق مذلق رقيق أديب^(١٥) ونقل عن
« بلغة الإشفاق في ذكر أيام العشاق » لأبن رشيق أن عبدالله هذا أقل العشاق
أياماً ، عاش يكابد المحبة وغصة العشق ثلاثين سنة ، وهو جاهلي ضرب به المثل
كما ضرب بعروة فقيل :

فَمَا وَجَدْتُ وَجِدِي بِهَا أُمُّمٌ وَاجِدٍ وَلَا وَجَدَ النَّهْدِيُّ وَجِدِي عَلَى هِنْدٍ
وَلَا وَجَدَ الْعُدْرِيُّ عُرْوَةَ فِي الْهُوَى كَوَجِدِي وَلَا مَنْ كَانَ قَبْلِي وَلَا بَعْدِي

وقال الفرزدق^(١٦) :

غَزَاةُ الشَّمْسِ لَا يَضْحُو الْفُؤَادُ بِهَا حَتَّى تَرَوِّحَتْ لِأَيَّامٍ بَعْدَ إِنْصَالِ
كَأَنَّهَا طَرَفَتْ عَيْنِي كَاجِلَةٍ فِي الدَّارِ ، مِنْ سَرَبٍ بِالْمَاءِ مِسْيَالِ
أَوْ كَابِنِ عَجْلَانَ إِذْ كَانَتْ لَهُ تَلْفَاً هِنْدُ الْهُنُودِ بِمِقْدَارِ وَأَجَالِ

وقال البحثري^(١٧) :

هَوَى لِأَجْمِيلٍ فِي بُيُوتِ نَالِهِ بِمِثْلِي وَلَا عَبْدُ بَنِ عَجْلَانَ فِي هِنْدِ

وسماه ابن قتيبة بالعجلاني ، وقال : عبدالله بن عجلان ، وعن عبدالرحمن عن
الأصمعي قال : هو نهدي جاهلي^(١٨) .

وفاته :

ينفرد صاحب « تزيين الأسواق » حيث يذكر أنه توفي في الزهراء قبل عام الفيل
بأربعة أعوام^(١٩) .

إن هذه الأخبار المتباعدة ، والصور الشعرية المتألقة في بعض مجاميع الشعر أو
كتب الأدب ، لا ترسم الصورة الكاملة التي تراكمت في أحداثها عاطفة الشاعر
المشوبة أو تراجمت عند مواردها نهلات عاطفته الدافقة ، ولكنها تُحدِّد الإطار
العام لحياة شاعر احتفظت به أخبار التاريخ وأسفار الأدب بأعتبره صفحة مشرقة

من صفحات الوفاء ، ولوحة خالدة من لوحات العشق البريء والتضحية النادرة والإخلاص الحي .

[الحواشي] :

- (١) البكري « معجم ما استعجم » ٢٣/١ - ٣٨ .
- (٢) البكري « معجم ما استعجم » ٢٥/١ .
- (٣) البكري « معجم ما استعجم » ٣٨/١ - ٤٠ .
- (٤) البكري « معجم ما استعجم » ٤٢/١ - ٤٣ .
- (٥) البكري « معجم ما استعجم » ٤٣/١ .
- (٦) البكري « معجم ما استعجم » ٣٣/١ .
- (٧) زاغب : رجل من جَمْرٍ كان يثقف الرماح .
- (٨) البكري « معجم ما استعجم » ٣٣/١ - ٣٤ .
- (٩) البكري « معجم ما استعجم » ٥١/١ .
- (١٠) ن . م ٥٢/١٠ .
- (١١) البكري « معجم ما استعجم » ٦٥٦/١ .
- (١٢) [ليس ماء الصفراء يجري إلى ينبع بل إلى البحر ، ماراً ببندر ، ثم بالبحر بقرب ميناء الرايس ، جنوب ميناء البريكة - والمسافة بين مفيض وادي الصفراء في البحر وبين ينبع لا تقل عن ستين كيلاً - « العرب »] .
- (١٣) ابن قتيبة « الشعر والشعراء » ٧١٦/١ .
- (١٤) أبو الفرج « الأغاني » ٥٤/٩ - ٢٢ .
- (١٥) الانطاكي « تزيين الأسواق » ١٤٠/١ .
- (١٦) الفرزدق « الديوان » ٦٦/٢ .
- (١٧) البحري « الديوان » ٦٦/٢ .
- (١٨) ابن قتيبة « الشعر والشعراء » ٧١٦/٢ .
- (١٩) الانطاكي « تزيين الأسواق » ١٤٢/١ - كذا (النزهة) ولعلها (الفترة) - « العرب » .

الشعر :

(١)

وقال عبدالله بن العجلان النهدي :

إني ومَا مَارَ بِأَلْفَرِيقِ وَمَا قَرَّرَ بِأَجْلَهَيْنِ مِنْ سُرْبِ^(١)
 من شَعَرِ كَالْغَلِيلِ يُلْبَدُ بِأَدْ غَمَلٍ وَمَا مَارَ مِنْ دَمِ سَرْبِ^(٢)
 وَالْعِثْرِ عِثْرَ النَّسِيكِ يُخْفَرُ بِأَلْ بُدْنِ لِحْلِ الْإِحْرَامِ وَالنُّصْبِ^(٣)

(٢)

قال عبدالله بن العجلان النهدي :

قَدْ طَالَ شَوْقِي وَعَادَتِي طَرَبِي مِنْ ذِكْرِ خَوْدِ كَرِيمَةِ الْحَسَبِ
غَرَاءُ مِثْلُ الْهَلَالِ صُورَتَهَا أَوْ مِثْلُ تَمَالِ صُورَةِ الرَّهْبِ

(٣)

وعن أبي عبيدة ، عن يونس قال : قال بلعني عن أبي وجزة أنه قال : لقيت
النسابة البكري بمي ، فسألته ، فإذا هو أعلم الناس ، فقلت له : أي الشعراء
أغزل ؟ قال : أصدقهم وجداً ، الذي إن سمعت شعره أويت لقائله ، أما نفث
في سمعك قول حجازيكم ، عبدالله بن عجلان النهدي ، واستخفه مرة الوجد
فهرّب ، فوقع ببلاد بني فزارة ، فقال :

بَكِي فَرَنْتُ لَهُ أَجْبَالَ صُبْحِ وَأَسْعَدتِ الْجِبَالَ بِهَا مُرُونُ
حِجَازِي الْهَوَى عَلِقَ بِنَجْدِ جَوِي لَا يَعِيشُ وَلَا يَمُوتُ
فَتَرَدُّعُهُ الدُّبُورُ لَهَا أَجِيجُ وَيُسَلِّمُهُ إِلَى الْوَجْدِ الْمَبِيتُ
كَأَنَّ فَوَادَهُ كَفَا غَرِيقِ تَنَازَعَهُ بِشَطِّ الْبَحْرِ حُوتُ
لِهِنْدٍ مِنْكَ عَيْنٌ ذَاتُ سَجَلِ وَقَلْبٌ سَوْفَ يُفْقَدُ أَوْ يُفَوْتُ
إِذَا اكْتَنَفَا بِضُرِّهَا سَقِيماً يُعَادِي الدَّاءَ لَيْسَ لَهُ مُقِيْتُ

(٤)

وقال :

لَقَدْ كُنْتُ ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَهَمَّةٍ إِذَا شِئْتُ لَمَسًا لِلثَّرِيَّا لَمَسْتَهَا
أُتْتِنِي سِهَامٌ مِنْ لِحَاطِ فَارَشَقْتُ بِقَلْبِي وَلَوْ أُسْطِيعُ رَدًّا رَدَدْتُهَا

(٥)

أسر عبدالله بن العجلان رجلاً من بني الوحيد فمّن عليه واطلقه ووعدته
الوحيدي الثواب فلم يف فقال عبدالله :

وَقَالُوا : لَنْ تَنَالَ الدَّهْرَ فِقْرًا إِذَا شَكَرْتِكَ نِعْمَتِكَ الْوَجِيدُ
فَيَا نَدْمًا نَدِمْتُ عَلَى رِزَامٍ وَخُلْفَةَ كَمَا خُلِعَ الْعَتُودُ

(٦)

قال عبدالله بن العجلان :

خَلِيلِي زُورًا قَبْلَ شَحْطِ النَّوَى هِنْدًا
وَلَا تَعَجَلَا لَمْ يَدْرِ صَاحِبُ حَاجَةِ
وَمَرًّا عَلَيْهَا بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا
وَقَوْلًا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَازَنَا
عَدَا يَكْثُرُ الْبَاكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ
وَلَا تَأْمَنَّا مِنْ دَارِ ذِي لَطْفٍ بَعْدَا
أَعْيَا يُلَاقِي فِي التَّعَجُّلِ أَمْ رُشْدَا
وَلِإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ لِيُوجِهِيكُمَا قَصْدَا
وَلَكِنَّا جُزْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدَا
وَتَزْدَادُ دَارِي مِنْ دِيَارِكُمْ بَعْدَا

(٧)

قال عبدالله بن عجلان النهدي :

خَلَى يَتَامَى كَانَ يُحْسِنُ أَسْوَهُمْ
مِنْ سَبِّ ذِي فَجْرٍ يُقَسِّمُ مَالَهُ
وَمَعِيَّةُ الْعُلَمَاءِ يُخْتَبِي نَافَهَا
أَبْرَأْتَهَا إِذْ كُنْتُ أَنْتَ طَبِيبَهَا
وَيَكْفُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَاهِدِ
فِينَا وَيَشْكُدُ فَوْقَ شُكْدِ الشَاكِدِ
أَسْوَا وَأُمَّ دِمَاعِهَا كَالْفَاسِدِ
حَتَّى تُؤَدِّيَهَا كَعَهْدِ الْعَاهِدِ

(٨)

وقال عبدالله بن العجلان بعد انهزام عامر في يوم من أيام نهدي بعد أن أرسلته هند لينذر قومها قبل أن يأتيهم بنو عامر :

عَاوَدَ عَيْنِي نَضْبُهَا وَغُرُورُهَا
أَمْ الدَّارِ أَمَسَتْ قَدْ تَعَفَّتْ كَأَنَّهَا
ذَكَرْتُ بِهَا هِنْدًا وَأَتْرَابَهَا الْأَلَى
فَمَا مَعُولٌ تَبْكِي لِفَقْدِ الْبَيْفِهَا
بِأَسْرَعِ مِنِّي عَبْرَةً إِذْ رَأَيْتُهَا
أَلَمْ يَأْتِ هِنْدًا كَيْفَمَا صُنِعَ قَوْمِهَا
فَقَالُوا لَنَا: إِنَّا نَجِبُ لِقَاءَكُمْ
فَقَلْنَا إِذْنٌ لَا تَنْكُلُ الدَّهْرَ عَنْكُمْ
أَهْمُ عَرَاهَا أَمْ قَذَاهَا يَعُورُهَا
زُبُورٌ يَمَانٍ نَقَشْتُهُ سَطُورُهَا
بِهَا يُكَذِّبُ الْوَاشِي وَيُعْصِي أَمِيرُهَا
إِذَا ذَكَرْتَهُ لَا يَكْفُ زَفِيرُهَا
يُحِبُّ بِهَا قَبْلَ الصَّبَاحِ بَعِيرُهَا
بَنِي عَامِرٍ إِذْ جَاءَ يَسْعَى نَذِيرُهَا
وَأَنَا نُحْيِي أَرْضَكُمْ وَنَزُورُهَا
بِصُمِّ الْقَنَا اللَّائِي الدَّمَاءِ تُمِيرُهَا

فَلَا غَرَوُ أَنْ الْحَيْلَ تَنْحَطُ فِي الْقَنَا
تَأَوُّهُ بِمَا مَسَّهَا مِنْ كَرِيمَةٍ
وَأَصْحَابُهَا صَرَعَى بِرُقَّةٍ أُخْرَبَ
فَأُبْلِغَ أَبَا الْحَجَّاجِ عَنِّي رِسَالَةٌ
فَأَنْتَ مَنَعْتَ السَّلْمَ يَوْمَ لَقَيْتَنَا
فَلَذُقُوا عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْ فَرْطِ إِحْنَةٍ

(٩)

قال يذكر وقعة قومه بيني عامر :

أَلَا أُبْلِغُ بَنِي الْعَجْلَانَ عَنِّي
بَأَنَّا قَدْ قَتَلْنَا الْخَيْرَ قُرْطًا
وَأَفْلَتْنَا بَنُو شَكْلِ رِجَالًا
فَلَا يُبَيِّنُكَ بِالْحَدَثَانِ غَيْرِي
وَجُلْنَا فِي سَرَاةِ بَنِي نَمِيرٍ
حُفَاةً يَرْبِزُونَ عَلَيَّ سُمَيْرٍ

(١٠)

ومن مختار مقاله ابن العجلان في هند :

أَلَا أُبْلِغَا هِنْدًا سَلَامِي ، وَإِنْ نَأَتْ
وَلَمْ أَرِ هِنْدًا بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ
أَتَتْ بَيْنَ أَتْرَابِ تَمَائِسُ إِذْ مَشَتْ
يُبَاكِرُنَ مِرْأَةً جَلِيًّا وَفَارَةَ
أَشَارَتْ إِلَيْنَا فِي حَيَاءٍ وَرَاعَهَا
وَقَالَتْ : تَبَاعَدْ يَا أَبْنَ عَمِّي فَإِنِّي

فَقَلْبِي بِهَا مُذْ شَطَطِ الدَّارِ مُدْنَفُ
بِأَنَعَمٍ فِي أَهْلِ الدِّيَارِ تُطَوِّفُ
دَيْبِ الْقَطَا أَوْهَنَّ مِنْهُنَّ أَقْطَفُ
ذَكِيًّا وَبِالْأَيْدِي مَدَاكَ وَمِسْوَفُ
سَرَاةِ الضُّحَى مِنِّي عَلَيَّ الْحَيِّ مَوْقِفُ
مُنِيْتُ بِذِي صَوْلٍ يَغَارُ وَيَعْنَفُ

(١١)

وقال في طلاق هند :

فَارَقْتُ هِنْدًا طَائِعًا
فَالْعَيْنُ تُذِرِي دَمْعَهَا
فَنَدِمْتُ عِنْدَ فِرَاقِهَا
كَالدَّرِّ مِنْ آمَاقِهَا

مُتَحَلِّبًا فَوْقَ الرَّدَا
خَوْدٌ رَدَّاحٌ طَفْلَةٌ
وَلَقَدْ أَلَدْتُ حَدِيثَهَا
ءِ ، يُجُولُ مِنْ رَقَائِقِهَا
مَا الْفُحْشُ مِنْ أَخْلَاقِهَا
وَأَسْرٌ عِنْدَ عِنَاقِهَا

وفي هذه القصيدة يقول :

إِنْ كُنْتِ سَاقِيَةً بِبُزْ
فَاسْقِي بَنِي نَهْدٍ إِذَا
فَالخَيْلُ تَعْلَمُ كَيْفَ نَلَحُ
بِأَسْنَةِ زُرْقٍ صَبَحْنَا
حَتَّى تَرَى قِصْدَ الْقَنَا
لِ الْأَذْمِ أَوْ بِحِقَاقِهَا
شَرَبُوا خِيَارَ زَقَاقِهَا
قُهَا غَدَاةَ لِحَاقِهَا
بِ الْقَوْمِ حَدَّ رِقَاقِهَا
وَالْبَيْضَ فِي أَعْنَاقِهَا

(١٢)

وقال عبدالله بن عجلان النهدي :

وَحُقَّةٌ مِنْكَ مِنْ نِسَاءِ لِبْسَتِهَا
جَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ كَانَتْهَا
وَمُحْمَلَةٌ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونَ ثَوْبِهَا
كَأَنَّ دِمَقْسًا أَوْ فُرُوعَ غَمَامَةٍ
وَأَبْيَضٌ مَنْقُوفٌ وَزِقِي وَقَيْنَةٍ
إِذَا صَبَّ فِي الرَّاوُوقِ مِنْهَا تَصَوَّعَتْ
شَبَابِي وَكَأْسٌ بَاكَرْتَنِي شَمُوهَا
سَقِيَّةٌ بَرْدِي نَمَتْهَا غِيُوهَا
تَطُولُ الْقِصَارَ وَالطُّوَالَ تَطُولُهَا
عَلَى مَتْنِهَا حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَدِيدُهَا
وَصَهْبَاءٌ فِي بَيْضَاءٍ بَادٍ حُجُوهَا
كُمَيْتٌ يُلِدُ الشَّارِبِينَ قَلِيلُهَا

(١٣)

وأورد الهجري في كلامه على ريش السهام من حديث طويل مانصه :
ولا يصلح أن يكون في سهم واحد ظهائر وبطان ، وهو شر من اللغب . قال
عبدالله بن العجلان النهدي :

وَلَكِنَّهَا تَرْمِي الْقُلُوبَ إِذَا رَمَتْ
بِسَهْمَيْنِ رِيثًا رِيثَ لَغَبٍ مِنَ الْكُحْلِ

ومعنى ذلك - والله أعلم على ما فسرته لي النهدي وغيره - انه التقى باطن
الجفنين الأعلىين إذا غمض الناظر عينيه ، فكأن الجفنين جناحين ، يمين ويسار ،
وهو حسن في العين ، لغب . . . - ثم كلام طويل لم يتضح في المصورة .

(١٤)

وقال الصُّحَارِيُّ في « الأنساب » : وفي عَبْدِ كُلالِ بنِ عَرِيبٍ يقول الشاعر
عبدالله بن عجلان ، فارس بني نَهْد :

وَعَبْدُ كُلالٍ حَازَ كُلَّ عَظِيمَةٍ سَمِعْتُ بِهَا فِي جَمِيرٍ وَكَفِيلِهَا
(١٥)

خرج عبدالله بن العجلان في الجاهلية فقال :

أَلَا إِنَّ هِنْدًا أَصْبَحَتْ مِنْكَ مَحْرَمًا وَأَصْبَحَتْ مِنْ أَدْنَى حُمُوتِهَا حَمَا
فَأَصْبَحَتْ كَالْمَقْمُورِ جَفَنَ سِلَاحِهِ يُقَلَّبُ بِالْكُفَّينِ قَوْسًا وَأَسْهُمَا
(١٦)

وذكر صاحب « الوحشيات » أن هذه القطعة تروى لعبدالله بن عجلان النهدي
وتروى لعبدالرحمن القيني وتروى للسموأل وتروى لأبي الوليد . .

إِنِّي لَعَمْرِكَ مَا أَخْشَى إِذَا ذُكِرْتُ مِنِّي الْخَلَائِقُ فِي مُسْتَكْرِهِ الزَّمَنِ
أَنْ لَا أَكُونَ إِذَا مَا أُرْمَةُ أُرْمَتُ مُرَبِّيًا ذَا قَرِيضٍ أَمْلَسَ الْبَدَنَ
وَلَا أُبَالِي إِذَا لَمْ أَجْنِ فَاحِشَةً طُولَ الشُّحُوبِ وَلَا أُرْتَاخَ لِلسَّمَنِ

(١٧)

وقال عبدالله بن العجلان النهدي :

أَلَا أَنْ هِنْدًا أَصْبَحَتْ عَامِرِيَّةً وَأَصْبَحَتْ نَهْدِيًّا بِنَجْدِينَ نَائِيًا
تَحُلُّ الرِّيَاضَ فِي ثَمِيرِ بْنِ عَامِرٍ بِأَرْضِ الرِّيَابِ أَوْ تَحُلُّ الْمَطَالِيَا

بغداد : الدكتور نوري حمودي القيسي

عميد كلية الآداب - جامعة بغداد

التخريج والشرح :

- (١) الأبيات في « حيوان » الجاحظ ٣٧٦/٥ .
السُّرْبُ : جماعة من القطا وغيره واحدها سُرْبَةٌ ، وعبر بها هنا عن الحجاج وعن بالفرقة تلبية الحجيج
ورفعهم أصواتهم بالدعاء .
الغَلِيلُ : القَتُّ والنوى والعجين تعلق الإبل ، والسَّرْبُ : السائل .

- العترة: ما عثر أي ذبح والعُتر: الصنم يعتر له والنسيكة: الذبحة .
- (٢) البيتان في «الأغاني» ٢٤٤/٢٢ .
- (٣) «وتزين الأسواق» ١٤٣ ورواية الأول وعادلي .. والثاني .. صورة الرهب .
- (٤) البيت الأول والرابع مع اختلاف في الحماسة البصرية ١١٥/٢ .
- (٥) البيتان في تزين الأسواق ١٤١ .
- (٦) البيتان في «الأغاني» ٢٤٨/٢٢ .
- (٧) الأبيات [١ - ٥] في «تزين الأسواق» ١٤٤ وفي «مختار الأغاني» لابن منظور ٤٠٣/٥ ورواية الرابع : ليس الطريق أجازنا .
- (٨) الأبيات [١ - ٤] في الأغاني ٢٥٣/٢٢ - ٢٥٤ .
- (٩) الأبيات في «الوحشيات» ١٢٧ .
- (١٠) الفجر: الجود الواسع والكرم من التفجر في الخير المعروف .
الشكذ: العطاء والمنح .
- (١١) الأبيات [١ - ١٤] في الأغاني ٢٤٩/٢٢ - ٢٥٠ .
- (١٢) الأبيات في الأغاني ٢٤٧/٢٢ .
- (١٣) الأبيات [١ - ٦] في الأغاني ٢٥٢/٢٢ - ٢٥٣ .
- (١٤) ورواية الثالث: ... اقفط وأظنه تحريفاً والصحيح: أطف ..
- (١٥) والأبيات [١ - ٦] في تزين الأسواق ١٤٤ وفي رواية بعض أبياتها اختلاف بائن .
- (١٦) الأبيات في «الأغاني» ٢٤٦/٢٢ - ٢٤٧ .
- (١٧) وهي في «تزين الأسواق» ١٤٢ وفي رواية بعض أبياتها اختلاف .
- (١٨) الأبيات في «حماسة أبي تمام» (التبريزي) ١٢٩/٣ - ١٣١ والأربعة الأولى في المرزوقي ١٢٦٠ وذكر التبريزي في شرحه أن النمرى حين تكلم عن البيت الرابع ذكر خلافاً منه لما قبله إذ كان البيت المتقدم - كما يقول في صفة امرأة - وهذا البيت يجب أن يكون في صفة ناقة ، ولاشك أنه قد سقط منه شيء يصله بما قبله ، ولم يذكر ذلك أحد منهم .
- والأبيات (وحقت) و(جديدة) . و(كأن) في «اللسان» - جدل - و(غيل) و(سقى) والغبول - هنا - جمع غيل ، وهو الماء يجري بين الشجر ، لأن الماء يسقي والأجمة لا تسقي ، والسقيُّ البرُّدِيُّ الناعم .
- (١٩) «النوار والتعليقات» المخطوطة الهندية ٤٨٣/٤٨٤ .
- (٢٠) ج ١ ص ١٨٠ .
- (٢١) البيتان في «الشعر والشعراء» ٧١٦/٢ ونسبت لعبدالله بن عجلان .
- (٢٢) وفي «الأغاني» ٢٥٢/٢٢ و«مصارع العشاق» ١٥ - ١٦ منسوين إلى عبدالله بن العجلان وفي «اللسان» [حمو] وقال رجل كانت له امرأة فطلقها وتزوجها أخوه ورواية البيت :
لقد أصبحت أساء حجراً محمراً
وأصبحتُ
- (٢٣) وينظر ج ٥٣/٩ - من «الأغاني» حيث يذكر نسبها إلى عبدالله بن العجلان .
- (٢٤) ويذكر صاحب «تزين الأسواق» رواية أخرى تؤيد نسبتهما إلى عبدالله بن العجلان ويروي بيتين آخرين فيها بعض أوجه الشبه وتنظر تفاصيل الرواية في «تزين الأسواق» ١٤٣ .
- (٢٥) الإبيات في الوحشيات ١٦٥ .
- (٢٦) وقال المحقق الفاضل المرحوم الميمني .. ولكن لا أثر لها في ديوان السموأل وشك في اسم عبدالرحمن القيني .
- (٢٧) البيتان في «معجم البلدان» ٧٤٧/٢ (رباب) .

كتابان وملاحظات

- ١ -

أغناطوس كراتشكوفسكي «دراسات في تاريخ الأدب العربي» متخبات .
ترجمة عن الروسية . دار النشر (علم) . موسكو ١٩٥٦ - ٢٢٣ ص + ١ .
١ - في الكتاب خمسة بحوث مختارة من آثار كراتشكوفسكي هي : الشعر
العربي (كتبه سنة ١٩٢٤) ، البديع عند العرب في القرن التاسع (١٩٣٠) ،
الحضارة العربية في اسبانيا (١٩٣٦) ، الشعر العربي في الأندلس (١٩٤٠) ،
أقدم تاريخ لقصة المجنون وليلى في الأدب العربي (١٩٤٦) .
المقالات - البحوث قيمة لم تفقد قيمتها وقوتها، وتريك علم الرجل واستيعابه
وتمكنه .

وقد أحسن المترجمون فقدموا البحوث وكأنها كتبت هكذا باللغة العربية لأول
مرة . ترجم الأول والثاني والرابع محمد المعصراني ؛ والثالث ك.ع فاسيليفا -
وهي كلثوم عودة فاسيليفا زوجة المستشرق الكبير وقد طبع الكتاب تحت إشرافها
- وترجم الرابع : النجفي .

٢ - ص ٥ قال : (العالم اللغوي أبو عمرو لتلاميذه منذ القرن الثامن . . . :
(ماوصلكم من لغة العرب إلا القليل) .

لم يرجع المترجم إلى الأصل العربي، وهذا القول يرويه محمد بن سلام - في
كتابه «طبقات الشعراء» عن يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء هكذا :
(ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علمٌ وشعر
كثير) .

٣ - ص ١١ (ويمر الشاعر في طريقه على مكان كان في السابق مقاماً لقبيلته
(. . .) ويرى فيه الأطلال والأثافي التي كان يوضع عليها قدر الطعام والنؤي
المتهدم الذي كان يصد ماء المطر عن الخيمة (. . .) النؤي الذي عفى عليه
العشب (. . .) .

قد يفهم من كلمة (يصد) مالا يدل عليه النؤي حقيقة ، كأن يفهم مرتفعاً من

الأرض، وما هو كذلك . جاء في «القاموس»: النؤي . . . الحفير حول الخبء أو الخيمة يمنع السيل . ونلاحظ – للفائدة – أن (القدر) مؤنثة . وقال (يوضع) لوجود الفصل بالجار والمجرور .

٤ – ص ١٧ : (وجميل بثينة – سليل بني عذرة الذين خلدتهم هايبي) .

هايبي أو هايته Heine هو الشاعر الألماني (١٧٩٧ - ١٨٥٦) . وياحبذا لو ذكر كيف خلده . . . وأين ؟

٥ – ص ١٨ : (بانتهاء عهد الأمويين تنتهي الحقبة العربية المحض من تاريخ الخلافة الإسلامية . ولهذا كان أحد العلماء الألمان على حق تام عندما أسمى كتابه الذي وضعه لهذه الحقبة بـ «الدولة العربية وسقوطها») .

يقصد: (فلها وزن) – والكتاب مترجم إلى العربية – ولعله ترجم مرتين .

٦ – ص ١٩ : (ويكثر الشعراء من وصف الخمرة ومجالس اللهو وبخاصة

أبونواس البارع الذي يُشبه بهايبي ولكن في غير حق) .

أ – ياحبذا لو عرّفنا العارفون بالأدب الألماني ماهو حق وماهو غير حق من

تشبيه أبي نواس بهايبي . ومن الذي شبهه ؟ ولماذا ؟

٧ – ص ٢٠ : (الحلاج الشهير الذي صلب في أوائل القرن العاشر

لزندقته) . .

أصح وأدق كم قولنا : (لزندقته) أن نقول : مُتَّهَمًا بالزندقة . لأن في

القول الأول إثباتاً للزندقة عليه . ولهذا جاء على ص ٩٤ : الحب الالهي . . .

الوجد: (وراح ضحيته الحلاج الذي اعتبر زنديقاً) وهو تعبير أصح من سابقه .

وقد يعود الاختلاف إلى المترجم .

٨ – ص ٢٠ : (ابن المعتز . . . يستعمل الرجز لوصف الصيد ويقوم بتجربة

في الشعر الملحمي الذي لا نرى له على الصعيد العربي إلا انعكاساً باهتاً ، بل

قُلُّ معدوماً على وجه العموم) .

٩ – ص ٣٠ : (ومن الظواهر التي تميز الشعر الحديث (. . .) بدأ يتطور شعر

الملاحم ، أو على الأصح شعر القصص . وكان نقل «الألياذة» إلى اللغة العربية

في أوائل القرن العشرين ، حدثاً ضخماً جداً يثير الاهتمام العام . وقد ظهرت بتأثير «الباذة» قصيدة «حريق سان فرنسيسكو» لأمين خير الله السوري الذي يعيش في أميركا . وتقرب من هذا النوع قصيدة أحمد شوقي «الحرب اليونانية التركية»

لم نطلع على قصيدة «حريق سان فرنسيسكو» .

وصحيح ماورد لأحمد شوقي أن يعد تاريخاً و(قصصاً) – والمؤلف يتسهل كثيراً في مصطلح «الملحمة» كما هي ، وكما كانت .

١٠ – ص ٧٢ : (انتقال العلم والشعر إلى أوروبا) – موضوع جدير أن يطلع عليه طلبة الدراسات المقارنة ، ويفيدوا – خاصّةً – من المصادر المذكورة في ذيله .

١١ – ص ١٠٣ : (وتنسب للغزال – يحيى بن الحكم البكري ٧٧٠ – ٨٦٤ – إحدى المحاولات الأولى للقصائد الملحمية . فعندما عاد من عند النورمنديين اضطر إلى البقاء شهرين في (سنت ياغو) في شمالي اسبانيا . فانتهز هذه الفرصة لنظم أرجوزة عن فتح الأندلس . ويقول المؤرخ ابن حيان (٩٨٧ – ١٠٧٠) الذي يعرفه جيّداً ، إن هذه الأرجوزة (جميلة وعظيمة تعرض لأسباب الفتح ووقائع الحرب بين المسلمين وأهل الأندلس) وأنها مكتوبة بلغة جميلة) ولكن هذه الأرجوزة لم تصل إلينا) .

ويبدو أن العناية بالشعر الملحمي كانت على أشدها في ذلك العهد . فتنام ابن العلقم (٨٠١ – ٨٩٦) أصغر معاصري الغزال) تنسب إليه أرجوزة أخرى لها المحتوى نفسه تقريباً) ولكن هذه القصيدة . . . لم تصل إلينا .

وهكذا ، يقرب كراتشكوفسكي الأرجوزة العربية من الشعر الملحمي كلما طالت وتضمنت وقائع حربية أو تاريخاً سياسياً . وهو – على عادته يتسهّل في مدلول مصطلح (الملحمة) الحقيقية .

والملاحظ أنه لم يصف أرجوزة ابن عبد ربّه (٨٦٠ – ٩٤٠) بالملحمة وإنما

اكتفى بالقول: (وقد أنشأ على سبيل التقليد – أرجوزة بقيت حتى أيامنا هذه هي بمثابة تاريخ لغزوات عبدالرحمن الثالث السنوية ...).

١٢ – ص ١٠٨: (ابن دراج القسطلي (المتوفى عام ١٠٣٠) الذي شُبه أيضاً بالمتنبي وذاع صيته في حياته ، فوصل إلى نيشابور حيث قال فيه الثعالبي (المتوفى عام ١٠٣٨) ... (بلغني أن القسطلي عندهم في الأندلس كالمتنبي في الشام) .

نيشابور هكذا بالشين عند أهلها ، أمّا العرب فيلفظونها بالسين : نيسابور ، والثعالبي عندنا نيسابوري وليس نيشابوري . . وتاريخ وفاته هجرياً سنة ٤٢٩ .
ونص كلام الثعالبي : (كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام) وقول المؤلف (أيضاً) يشير إلى (ابن هانيء الأندلسي) فهو عند أهل الأندلس كالمتنبي .

١٣ – ص ١٠٩: (كان ابن دراج مثلاً للكاتب الشاعر لا في الحضارة الأندلسية وحدها بل في الحضارة العربية كلها) .

ليس هذا التعبير عربياً وإنما هو من آثار الترجمة ، ويمكن قوله هكذا : كان ابن دراج مثلاً للكاتب الشاعر في الحضارة الأندلسية وفي الحضارة العربية كلها . . . – أو ماأشبهه .

١٤ – ص ١٤٨ «أغنية Las tres morillas التي كانت كصوبة الطريق لربيرا في دراسته التاريخية لموسيقى القرون الوسطى ...).

احسب أن (صوبة)، من التوهم أو الخطأ المطبعي ، وإن صحيحها : صَوَى والصوى العلامات الدالة ، مفردها صُوَّة – بضم الصاد وتشديد الواو ، ولا يبعد أن يكون المؤلف – أو المترجم – قد أراد بـ (صوبة) الطريق : صُوَّة الطريق – على الأفراد .

١٥ – ص ١٨٦: (البحث الواسع الذي قام به شوارتس ونشره (١٨٩٣-١٩٠٩) حول شاعر مكة الكبير ، عمر بن أبي ربيعة ...)

شاعر مكة : شاعر المدينة – وكانت إشارة سبقت ص ١٧ إلى المدينة ، قال وهو يتحدث عن (أشعار في الغزل قائمة بذاتها): (وكان مركز هذا الشعر مدينة يثرب

حيث الأرستقراطية التجارية (. . .) فعمر بن أبي ربيعة مثلاً (أبرز شعراء الحب عند العرب) كما يقول روكيرت ، وأكبر أعلام هذا الشعر ، لم يكن يحتاج إلى التكبس بشعره) .

١٦ - تبقى بحوث كراتشكوفسكي قيمة، ومناسب أن نذكر هنا لكراتشوفسكي بحثه «الأدب العربي» الذي نشرته مجلة الرسالة في أعدادها ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨١ من مجلداتها ١٠ ، ١١ ، ١٢ - القاهرة ١٩٣٦ - ينظر الدكتور جميل صليبا - اتجاهات النقد الحديث في سورية، القاهرة ١٩٦٩ ص ٢٧٤ .

- ٢ -

رحلة ابن بطوطة - بيروت: دار صادر ودار بيروت ١٣٧٩ / ١٩٦٠ - ٧٤٩ ص مع الفهارس - كتب التعريف بابن بطوطة - كرم البستاني ، ومعلوم أنه هو الذي يشرف على هذه السلسلة .

١ - قولنا كرم البستاني (يشرف) يخرج عن التحقيق، وليس النشر تحقيقاً ، ولا من إشارة - أو صورة - إلى مخطوطة وأكبر الظن أنه أفاد من طبعة سابقة ونقل الأوربية بعد أن جردها من سمات التحقيق العلمي!! واحتفظ بقليل من الهوامش . والعجيب أن تقرأ في الهوامش (كما في ص ١٩١) (هكذا في الأصل) ترى ماالأصل؟ وأين الحديث عنه أو وصفه؟!

٢ - ص ١٧٥ : (نزلنا موضعاً يعرف بالمساجد فيه ثلاث مصانع): ثلاثة .

٣ - ص ١٨٥ : مدينة البصرة: (دخلنا ضحوة النهار إلى مدينة البصرة (. . .) وكنت رأيتُ عند قدومي عليها على نحو ميلين منها بناءً عالياً ، مثل الحصن ، فسألت عنه فقيل لي هو مسجد علي بن أبي طالب، رضي الله عنه ، وكانت البصرة من اتساع الخطة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها ، وبينه الآن وبينها ميلان ، وكذلك بينه وبين السور الأول المحيط بها نحو ذلك ، فهو متوسط بينهما) . ص ١٨٦ : (وأهل البصرة . . . يصلون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين علي (. . .) ثم يُسد فلا يأتونه إلا في الجمعة) .

ينفع هذا الخبر في موضوع (المزبد) - وينظر معجم البلدان لياقوت، وفيه

(... نحو ثلاثة أميال ...).

ولنتذكر أن ابن بطوطة - بدأ رحلته بالخروج من طنجة سنة ٧٢٥هـ ، وتقع حياته بين ٧٠٤ - ٧٧٩هـ .

٤ - تعرف رحلة ابن بطوطة بـ: «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» - ولم يشر البستاني إلى ذلك .

٥ - قال البستاني معرّفًا: (هو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي والصحيح : محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم .. - ابن بطوطة .

٦ - ومن الحواشي ماجاء ص ٢٢٧ - ٨ عند (ذكر سلطان العراقين وخراسان ... بها درخان ... ابن خذا بنده (...)) وقيل إنمّا هو خَر بنده وتفسير خَر بالفارسية الحمار ، فمعناها غلام الحمار (...)) وقيل: إن سبب تسميته بهذا الأخير هو أن التتر يسمون المولود باسم أول داخل على البيت عند ولادته . فلما ولد هذا السلطان كان أول داخل الزّمال وهم يسمونه خربنده (...).

في الهامش (الزمال) الضعيف الجبان، ولعلمهم يعنون الحمار، يدل على ذلك ماتقدم من معنى الاسم).

الذي يعرف اللهجة العراقية المعاصرة لا يُتَعَبُ نفسه لأن الزّمال فيها هو الحمار ليس غير .

وورد في النص خذا بنده ... خذا بالفارسية اسم الله ... وبنده غلام أو عبد (...)) والصحيح كتابتها بالبدال: خذا بنده ... خدا ...

٧ - ص ١٩١ : قال بعد أن ترك البصرة إلى أرض اللور: (وصلنا بعد أربعة أيام إلى بلدة ماجول على وزن فاعول وجيمها معقودة . وهي صغيرة على ساحل هذا الخليج ...).

وفي الحاشية: (قوله: وجيمها معقودة ، هكذا في الأصل ولم نجد لهذه اللفظة معنى موافقاً ، ولعل المراد أنها تلفظ كالجيم المصرية).

وقال ص ١٩٩ : (مدينة اصفهان من عراق العجم (واسمها يقال بالفاء الخالصة ويقال بالفاء المعقودة المفخمة) .

وفي الحاشية: لعل المراد بالفاء المعقودة أنها تلفظ كحرف الفاء الذي يوضع عليه ثلاث نقط) - يقصد الـ V . ومعلوم من ياقوت - وغيره - أن أصفهان تلفظ بالفاء وبالباء (P) والمعقودة هنا الباء - وإذا افترضنا أن (المعقودة) تعني ثلاث النقاط من اسم أعجمي أمكن أن نستنبط أن الجيم المعقودة من ماجول هي الجيم Ch الانكليزية الجيم بثلاث نقاط

ونعود إلى الحاشية لنشير إلى مايمكن أن يكون من خطأ النسخ أو الطبع لدى ورود (أصفهان . . . ويقال بالفاء المعقودة) وأن الصحيح : (. . . ويقال بالباء المعقودة) أي الباء ذات ثلاث النقاط (وهي الباء P) .
٨ - ص ١٩٥ : (ملك ايذج . . . يبعث . . . هدية لملك العراق في كل سنة، وربما وفد عليه بنفسه) .

تنفع من يؤرخ لاستعمال: (بنفسه) .

وتكررت ص ٣٦٧ : (وأق جلال الدين بنفسه لمحاربتة . . .)، وتنظر ص ٢٩٠ .
٩ - ص ٢٥٨ : (ويجعل نصيب ذوي القربى في خزانة على حدة) تنفع من يؤرخ لاستعمال: (على حدة) .

١٠ - ص ٢٦٠ : من (كُلُوا: (ومن عوايدهم الحسنة التصافح في المسجد . . .) ، عوايدهم: عوائدهم . أما كُلوْا فيقول ياقوت: (كِلْوَةٌ بالكسر ثم السكون وفتح الواو والهاء بلفظ واحدة الكلى) - ولعل ابن بطوطة - نقلها (كُلُوا) كما سمعها؟

١١ - ص ٢١٦ : لخطيب ظفار - (جوار مسميات بأسماء خدام المغرب . إحدهن اسمها بخينة . . .) .

الشكل من البستاني وإلا فهي من البُخْت وهي بَخِيْتَة أو بُخِيْتَة - في أقل تقدير .

- ١٢ - ص ٢٦٦ : (مرسى): نستعملها كما نستعمل اليوم ميناء .
- ١٣ - تذكرت أن مرّ بي اسم (عبود) فاستغربته لذلك الزمان . . . ثم عدت أبحث عن مكانه ، واستعنت بفهرس الأعلام فوجدته لا يذكره .
- ١٤ - ص ٢٧١ - ٢ : (وصلنا بلاد عُمان . . . ووصلنا إلى قاعدة هذه البلاد ، وهي مدينة نَزْوَا . . . ومن مدن عُمان مدينة زَكِي لم أدخلها ، وهي على ما ذكر لي مدينة عظيمة منها القُرَيَات وشبا وكلبا . . . وصحار . . .).
- تكتب نزوا هذه الأيام : نزوى .
- وصحيح زكى : أزكى .
- ١٥ - ص ٢٧٩ : (ومغاص الجواهر فيما بين سیراف والبحرين في خَوْر راکد . . . فإذا كان شهر أبريل وشهر مايه تأتي إليه القوارب).
- ص ٣٩٣ : (بعد نزول المطر بأرض السند والهند ، وذلك في أوائل شهر يوليه) وهكذا يدل على استعمال قديم (ونحن في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد) لهذه الشهور (وشرحها البستاني: نيسان، أيار، تموز) . ويبدو أنه يستعملها لعلاقة مناخية .
- وألا فهو يستعمل الشهور العربية كذلك (ص ٣٩٣ مثل: سلخ ذي الحجة . . . المحرم) .
- ١٦ - يمكن أن تقوم دراسة على (لغة) رحلة ابن بطوطة فتسهم في خدمة «المعجم» .
- ١٧ - ص ٤٦ : (الحويزا على مسيرة ثلاثة أيام من البصرة) ص ٦٤٩ (الحويزا) .
- ص ٢١٨ : (الحويزاء . . . بينها وبين البصرة مسيرة أربع) .
- الكلمة هي هي وردت مرتين (الحويزا) ومرة (الحويزاء) - والمعروف جيداً ، وعلى مر التاريخ أنها: الحويزة .
- ←

شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع

لصفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠هـ

تحقيق الدكتور نسيب نشاوي

من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٤٠٣هـ

عرض صاحب الكتاب للأجناس البديعية في كتابه هذا ، والأنواع البديعية تتجاوز مانعرفه منها في « علم البديع » الذي هو قسم من أقسام علوم البلاغة وهي : المعاني والبيان والبديع ، ذلك أنه عرض للاستعارة والتشبيه والمجاز ، وهذا شيء من مواد علم البيان ، وعلى هذا فدلالة « البديع » في كتاب الصفي الحلي دلالة قديمة تعني أشتات علوم البلاغة ، ويتحقق ذلك على سبيل المثال في « البديع » الذي صنعه ابن المعتز .

لقد جمع الشعر في كتابه واحداً وخمسين ومئة نوع من الأنواع البديعية جاءت في خمسة وأربعين ومئة بيت ، وهي عدة أبيات قصيدته التي حبسها على مدح الرسول الكريم وآل بيته الطاهرين معارضاً فيها بردة البوصيري المشهورة التي مطلعها :
أمن تذكر جيران بني سلم
مزجت دمعاً جرى من مقله بدم
لقد أعجب صفي الدين بقصيدة البوصيري هذه فعارضها بوزنها وقافيتها وغرضها فقال في مطلع قصيدته :

→ ذكر ص ٤٦ : من علماء مصر : (الشيخ جمال الدين الحوزائي ، والحوزا...) ، وص ٢١٨ (الحوزاء...) ومن أهلها الشيخ الصالح جمال الدين الحوزائي شيخ خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة) ولا بُدَّ من حصول تصحيف (في الثانية). أترى جمال الدين هذا... هو من الحوزة فعلاً؟

١٨ - ص ٧١ : (قال أبو الفتيان بن جبوس) : حَيُّوس .

بغداد : علي جواد الطاهر

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلِّ عَنْ جِيرَةِ الْعَلَمِ . وَاقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى عَرَبٍ بِذِي سَلَمٍ .

كما عارض البوصيري طائفة من الشعراء المتأخرين .

وقد جعل الصفيّ الحليّ كل بيت من أبيات قصيدته مادة لنوع من أنواع البديع ، ورُبماً جاء في البيت الواحد نوعان أو ثلاثة ، وهو حين يذكر البيت يؤيده بما ورد من شواهد في ذلك النوع في أي القرآن الكريم وفي الشعر القديم في عصوره كلها . وعلى هذا فالكتاب مصدر من مصادر الدراسة البلاغية .

ولنعرض للنوع الأول ليكون مثلاً أو نموذجاً من نهج المؤلف في كتابه .

جاء في الصفحة (٥٧) بعد فاتحة الكتاب ومقدمة المؤلف قوله :

براعة المطلع

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلِّ عَنْ جِيرَةِ الْعَلَمِ . وَاقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى عَرَبٍ بِذِي سَلَمٍ .

أما « براعة المطلع » فهي عبارة عن سهولة اللفظ وصحة السبك . ووضوح المعنى وشرطه في النظم أن يكون المطلع دالاً على ما بُنِيَتْ القصيدة عليه من غرض الشاعر كقول أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب

وكقول أبي الطيّب:

لا خيلَ عندك تُهدِيها ولا مالُ

هذا هو نهج المؤلف ، حتى إذا انتهى من « براعة المطلع » انتقل إلى النوع الثاني وهو الجناس فجرى على ماجرى عليه من بسط الحدّ مؤيداً بالشواهد .

وقد أغرى صنيع صفي الدين الحلي في كتابه هذا جماعة من الشعراء فنظموا قصائد في الغرض نفسه ، وهو مدح الرسول الكريم ، ذاهبين في شرحها إلى بسط الأنواع البديعية فَسُمِّيَتْ قصائدهم بل كتبهم « البديعيات » ، ومن هؤلاء ابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧هـ ، وابن جابر الأندلسي المتوفى سنة ٧٨٠هـ ، وعزالدين الموصلبي المتوفى سنة ٧٨٩هـ وغير هؤلاء ، وقد أشار إلى هذا محقق

كتاب الصفي الحلي هذا . وقصائد هاؤلاء كلها جاءت معارضة للأصل وهي قصيدة البوصيري المشهورة في وزنها وقافيتها وغرضها .

هذا ما اعترمت ان أبسطه من مادة الكتاب ونهجه . وقد وجدت أن من المفيد أن أتناول هذا الكتاب ناقداً فأبين العلم المفيد في هذا النمط من التأليف ، وجهد المحقق فيه فأقول :

١- جاء في الصفحة (٤) من مقدمة المحقق قوله :

ومع أنه خصص الشرح لـ « علم البديع » فهو لم يفرق بينه وبين « علم البيان » فتجد في الكتاب الاستعارة والتشبيه والمجاز ...

أقول : لقد اشرت إلى ان مصطلح « البديع » لم يكن مقصوراً في العصور القديمة وفي عصر الصفي الحلي ، على الأنواع البديعية المعروفة كالجناس والطباق ونحوهما ، بل كان عاماً يشمل الأنواع المختلفة من مادة البلاغة العربية .

واستعمال المحقق في قوله : « ومع أنه » ، وهو استعمال فاش في العربية المعاصرة ، وكأنه شيء من أسلوب الشرط بدلالة مجيء الجواب مقترناً بالفاء ، فقد قال المحقق في الجواب : فهو لم يفرق بينه وبين وكأن هذا الأسلوب الجديد يفيد « إذا » الشرطية ، فالمراد : واذا خصص الشرح لـ « علم البديع » فهو لم يفرق ..

٢- وجاء في الصفحة (١١) في الكلام على «ترجمة المؤلف» :

ولد بالحلة بالعراق يوم الجمعة وهي قرية مشهورة في طرف دُجَيل بغداد

وهذا هو كلام ياقوت في مادة « الحلة » .

أقول : والحلة هذه هي الحلة السيفية ، حلة المزيديين الأسيديين فهم الذين مصروها . انظر « الكامل » لابن الأثير .

٣- وجاء في الصفحة (١٥) قول المحقق :

أما القصيدة الأخيرة فقد ضمنها خلاصة الحكمة والتجربة الحياتية (كذا) .

أقول : ولا بد من الوقوف على « الحياتية » التي هي نسبة إلى « الحياة » . وقد شاعت هذه النسبة في لغة المعاصرين ولغة الصحف . وهي من الخطأ ذلك ان الصواب أن يقال : التجربة الحَيَوِيَّة . فكما لا يجوز ان نقول : العادتيَّة ، والصلاتيَّة ، والزكاتيَّة ، كذلك لا يجوز ان نقول : الحياتية ، ولكن ما العمل ، وقد جرت الألسنة على الخطأ الذي مرده الجهل بالعربية . وإني لأغض الطرف عن هذا الخطأ الشائع في أساليب المعاصرين ، ولكني لا أعترف لمن يكتب في علوم العربية كصاحبنا محقق الكتاب .

٤ - وجاء في الصفحة (١٨) قول المحقق :

ولعل هذه الزيارة كانت من « المؤهبات الرئيسة » للشاعر الديني ...

أقول : جاء هذا في الكلام على أبيات لصفي الدين الحلي أشار فيها إلى زيارته لقبر الرسول ﷺ .

وقول المحقق : من « المؤهبات الرئيسة » يستدعي وقفة قصيرة للكلام على « المؤهبات » ثم على « الرئيسة » . « المؤهبات » من « الأُمة » وهي العُدَّة ، وتأهَّب بمعنى استعدَّ ، يقال : أخذ لذلك الأمر أهْبته ، وليس في هذه الكلمة شيء على « فاعل » مثل « آمَن » ، وعلى هذا فالمؤهبات مما ولدته المحقق ، وليس شيء منه في العربية .

وأما الرئيسة « فهي فعيلة » كالعظيمة والنفيسة ونحوهم ، ولكن المعربين أضافوا إلى هذا الوصف ياءً مشددة والياء زائدة وليست للنسبة إلى الرئيس ، وليس لنا أن نقول : ان الرئيسي والرئيسية من الخطأ ، فمن مآذاهب العرب هذه الزيادة ، ومن ذلك قول العجاج : « والدهر بالإنسان دَوَّارِيٌّ » ، والأصل : دَوَّار .

٥ - وجاء في الصفحة (١٩) من « مقدمة » المحقق البيت :

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلِّ عَنْ جِيرَةِ الْعَلَمِ واقرا السلام على عُربٍ بذي سَلَمٍ

أقول : والبيت مطلع القصيدة التي عارض بها الصفي الحلي بُرْدَة
البوصيري .. وجاء فيها :

« واقرا » كذا بالألف بعد الراء . والذي أراه ان الفتح هو الصواب ، وهو
الأمر من « قَرَأَ » « يَقْرَأُ » بتسهيل الهمزة ، وهو شيء اقتضته الضرورة ، فاذ
سُهِّلَت الهمزة تحولت إلى ألف مد ، وعلى هذا فالوجه أن يكون عجز البيت :
« واقرّ السلامَ » .

٦ - وجاء في الصفحات (٢١ ، ٢٢ ، ٢٣) في الكلام على نهج القصيدة في
« مقدمة » المحقق :

وكثيراً ما يأتي على مدح أصحاب الرسول الكرام ثم يعود إلى مدح الرسول
ثانية .

وقد ذكر المحقق الأبيات التي استدل بها على قوله ، ثم قال : وكان لأصحاب
النبي ﷺ وآله نصيب من المدائح يمدحهم بلا استثناء أو تفريق بين أحد منهم ،
وقد يرينا شعره ان الفاروق عمر بن الخطاب هو أحبّ الأربعة الراشدين إليه اذ
يقول :

قيل لي : « تعشّقُ الصحابةَ طُرّاً أم تفرّدتَ منهم بفريقٍ
.....
.....

فإلى من تميلُ؟ قلت : إلى الأربع لاسيّما إلى الفاروق

أقول : وقد مدح آل البيت - رضوان الله عليهم - في قصائد عدّة ، وهو
القائل في أمير المؤمنين علي - عليه السلام - :

مُجِعَتْ في صفاتك الأصدادُ فلهذا عزّت لك الأندادُ
أنت سرُّ النبيِّ والصَّنُو وابنُ العمِّ والصَّهْر والأخ المستجد

والقصيدة طويلة في الديوان .

أقول : اذا كان هذا فهل يحق للدارسين في عصرنا أن يحملوا الصفيّ الحلي على شعراء الشيعة ؟

ونحن نعلم انه انقطع إلى مدح السلطان الملك ناصر الدين محمد بن قلاوون ، من المماليك في قصائد كثيرة تؤلف شيئاً من ديوان ، واتصل بالأرتقيين في ماردين ومدحهم وعلى رأسهم الملك الصالح بن المنصور ، وكان على صلة وثيقة بأبيه الملك المنصور بن غازي صاحب ماردين الذي رثاه وهو في العراق حين بلغه نبأ وفاته ، وجملة هذه القصيدة دُعِيَت « الارتقيات » .

وبعد هذه « المقدمة » للمحقق نباشر الكتاب فنقرأ فيه « مقدمة » المؤلف التي عرض فيها الصفيّ الحليّ للسبب الذي دعاه إلى نظم القصيدة ، ثم عاد فشرحها فجعل منها كتاباً في الأنواع البديعية وأشار إلى من سبقه في هذا التأليف كما أشار إلى مصادره التي أفاد منها .

ولابد لي من وقفات يسيرة على شيء من مادة الكتاب فأقول :

١- جاء في آخر مقدمة المصنف في الصفحة (٥٦) قوله :

وأعوذ بالله أن أكون ممن زكّي نفسه أو وأنما أشرت إلى حسن الاختيار لا إلى الإحسان في الاختبار . فقد قيل : اختبار المرء شاهد عقله

أقول : والصواب : « اختبار المرء شاهد عقله » ، وهذا معروف .

٢- وجاء في الصفحة (٥٨) بيت أبي تمام :

السيف كان أصدق أنباءً من الكتب

أقول : وزيادة « كان » تفسد الوزن ، والبيت مشهور !!

٣- وجاء في حاشية هذه الصفحة في التعليق على بيت أبي تمام :

تمامه : « في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب » وهو مطلع القصيدة الشهيرة في مدح